بياجيه « واركسن » والنمو الذهني والنفسي

زيد عبدالكريم جايد
كلية الآداب — جامعة الموصل

هناك اسس وقواعد عامة تخضع لها الكائنات البشرية في نموها خلال المراحل المختلفة اضافة الى وجود خصائص يتفرد بها كل انسان وترتبط بالظروف والعوامل الداخلية (الذاتية) والخارجية المحيطة به . لذلك فان التنبؤ بما سيكون عليه الكائن البشري) والطفل خاصة) مستقبلاً أمر متعذر مالم تؤخذ تلك العوامل والخصائص التي ينفرد بها الطفل بنظر الاعتبار . فالنمو العقلي مثلاً يختلف في مقداره من طفل لآخر حتى في حالة تساوي هؤلاء الاطفال في عمرهم الزمني اذ يتقدم الموهوب بعمره العقلي على اقرانه في العمر الزمني ويتخلف لدى المعوقين ذهنياً عن العمر الزمني .

لقد درس العالم السويسري «جان بياجيه» JEAN PIAGET النمو العقلي للأطفال من خلال ملاحظاته لهم منذ ان كان يبحث في مختبر مدرسة العالم النفسي «بينيه» ، ALFRED BINET عن استجاباتهم حول فقرات اختبارات الذكاء التي وضعها بينيه ثم في العيادة النفسية بمدينة زيورخ فكان يقابل الاطفال في محاولة لاكتشاف الطرائق

والاساليب التي يتمكنون من خلالها التوصل الى الاجابة ، وهذا ما حفزه لدراسة النمو العقلي مستخدماً اسلوب الملاحظة والمقابلة ، كما انه استفاد كثيراً من ملاحظاته عن اطفاله جاكلين و لوسين ، ولورنت . وقد تركزت اهتماماته على دراسة الفرق بين تفكير الطفل والراشد ، حيث يرى ان مفاهيم وافكار الطفل غريبة جداً عن افكار ومفاهيم الكبار ، ومن جهة اخرى فان افكار الطفل ذي السبع سنوات تتمركز حول ذاته EGO CENTRIC وتتأثر بحاجاته ورغباته الشخصية اكثر من تأثرها بفهم ما يجري في بيئته .

لقد انعكس تخصص بياجيه بعد حصوله على الدكتوراه في العلوم الحياتيه من جامعة لوزان ، انعكس على مسيرة بحوثه ودراساته حين تبنى اطارا بايولوجيا BIOLOGICAL MODEL للنمو ، اضافة الى تأكيده دور البيئة . فهو يرى ان النمو العقلي للطفل لايمكن ان يتم بشكله الصحيح الاعند وجوده في بيئة يتفاعل معها ، لكونه بحاجة لاقامة علاقات مع الاطفال والكبار الاخرين ومواد البيئة حيث تؤدي الى اكتساب قدرات جديدة يمكن ان ترتسم لها ملامحها المحددة من خلال عملية التنشئة (NURITION) . وتأكيداً لذلك فان هيب (HEBB,*1949) قد اشار في دراسة له عام ١٩٤٩ الى ان اختلاف نمو القدرات العقلية لدى الافراد يعود للفروق في العوامل الوراثية والى الفروق في المثيرات النفسية / العضلية Psychomotor خلال السنة الاولى والثانية من حياة الفرد .

اما أريك أريكسون فهو احد رواد الفرويدية الحديثة حيث يؤكد على سيكولوجية الانا . ولقد بذل اهتماماً كبيراً في دراسة مشكلات « كينونة الفرد » وفي كتابه « CHILDHOOD AND SOCIETY » افترض وجود ثماني مراحل متتابعة للنمو يتخللها تقاطعات المهمات النفسية التي ينبغي للفرد ان يجتازها بنجاح من اجل الوصول الى النضج النفسي والاجتماعي . كما تكتسب مرحلة المراهقة في نظرية اريكسون اهمية كبيرة تحتوي على اهم التقاطعات النفسية ، اذ يحاول المراهق مواصلة تشكيل شخصيته من خلال فعاليات الانا او النفس الواعية « Conscious self » .

وكنتيجة لاهتمامات اركسن بصراعات كينونة الفرد فانه قام بدراسة مختلف الشخصيات التاريخية والفلسفة الهندية ، ويبدو ذلك واضحاً في كتابه « Young Man Luther » وما فيه من اهتمام واسع «بالتاريخ النفسي» « Psychohistory » (١) .

واثارت نظريته اهتمام العديد من الباحثين النفسانيين في ميدان النمو الانساني وظهور اتجاهات جديدة تقلل من الاعتماد على مرحلة الطفولة في دراسة الشخصية كما كانت عليه الفرويدية القديمة ، وفضلاً عن ذلك فقد وجهت نظريته الاهتمام لدراسة مرحلة المراهقة وما يبرز فيها من صراعات ونمو نفسي لـه دوره الكبير في تشكل الشخصية وكذلك في دراسة حياة الفرد بأكملها .

من جانب آخر ، فان نظرية اركسن تفترض بأن تحليل التداخل بين خبرات الحياة اليومية والمؤثرات البايلوجية ضروري جداً لفهم الشخصية اذ تستحيل دراستها خارج نطاق هذين المؤثرين . وخلال نموه في المراحل الثماني التي حددتها النظرية فان الفرد يتعرض لصراعات (CRISES) ناجمة من تعارضه مع البيئة ، وقد اكدت النظرية على وجود هذه الصراعات في كل مرحلة من مراحل النمو النفسي الاجتماعي للفرد كما ان هذه الصراعات تستلزم معالجتها قبل ان يكون الفرد مهيأ للدخول في المرحلة القادمة اي انه سيظل يعيش احداث مرحلة دونية حتى بعد تجاوز عمره لفئة تلك المرحلة عند فشله في حل صراعاتها .

تفترض نظريتا بياجيه واركسن محتوى منظما من المراحل لهما وتصميماً فعالاً بنظمه ، حيث يعتقد ان الشخص له مساهماته الفعالة في نموه الخاص ، وعلى الرغم من كون بياجيه يهتم بالنمو المعرفي واركسن في التحليل النفسي ــ الاجتماعي فأن نظرية بياجيه تدرس الانسان منذ ولادته وحتى دور المراهقة لحوالي سن الخامسة او السادسة عشر بينما تهتم نظرية اركسن بالفرد في مراحل حياته كلها والتي قسمتها الى ثماني مراحل سيرد ذكرها في هذا البحث لاحقاً . وترى النظرية الاخيرة ايضاً ان العلاقات الاجتماعية اليومية واتجاهات الآخرين ممن يحيطون بالطفل تظهر تأثيراتها في ردود فعله سواء في مواقف الحياة العادية أو عندما يكون في موقف اختباري ، لذلك فانه يعتقد بان الموقف الامتحاني يمثل نوعاً مصغراً للحياة الاجتماعية (VERNON 1979) .

لقد حدد اركسن الى جانب المراحل الثماني ثلاث مراحل اخرى للنمو الاخلاقـــي تحتل مكانتها بصورة تلقائية خلال نمو الكائن البشري ، وهي : ــ

١ ــ المرحلة الاولى : وتتضمن القضايا والقواعد الاخلاقية التي تعلم للطفل في مرحلة الطفولة .

٢ــ المرحلة الثانية : وتشتمل على الخبرات الايديولوجية التي يكتسبها الفرد في مرحلة مراهقته .

٣ــ المرحلة الثالثة : وتتضمن امتزاج ماتعلمه الفرد من القواعد الاخلاقية واكتسابها المتانةو الصلابة في مرحلة الرشد للحد الذي يصبح فيه قادراً على تبنيها والدفاع عنها .

تعتمد نظرية علم النفس ــ اجتماعي Psychosoclal لاركسن على مبـــدئين اساسيين هما : ــ

١ ــ ان تقدم الفرد من مرحلة الى اخرى لايمكن ان يتم الا عندما يكون مهيأ مـــن النواحي البايلوجية ، النفسية ، والاجتماعية التي تؤهله للانتقال للمرحلة القادمة .

٢ ــ تساوي وامتزاج فهم الفرد مع الفهم الاجتماعي يعد هدفاً رئيسياً يحققه الفرد في نموه : ان من اهم مايميز هذه النظرية النفسية ــ الاجتماعية هي ان اركسن صاغ مراحلها واطارها النظري اعتماداً على رصده ومراقبته للحياة الاجتماعية العامة والاساليب التي يتصرف بها الافراد في مجتمعهم ، وهذا ماجعلها تختلف عن بعض النظريات الاخرى التي اعتمدت في صياغتها على البحوث او الحالات المرضية والشاذة منها كما هو الحال في نظرية فرويد في التحليل النفسي او نظرية الذات لكارل روجرز .

يعتقد اركسن بأن التغيرات التي تحصل في البيئة وما ينجم عنها من متطلبات جديدة غير تلك التي اعتادها الفرد سابقاً ستجعله يواجه صراعاً جديداً تزداد حدته تحت وطـأة التناقض بين الفرد والمتطلبات القديمة من جهة وبين تلك المتطلبات الجديدة من جهـــة أخرى وهذا ما دفع اركسن لتسمية التعارض الناجم بين الفرد والبيئة «بالصراع» Crise

ولنعد الى بياجيه الذي يرى ان النمو العقلي عملية تنظيم واعادة تنظيم مستمرة لمواد وخبرات البيئة ، فلقد افترض اربع مراحل متتالية لنظريته هي : ــ

١ ــ المرحلة الاولى : الحسية الحركية SENSORIMOTOR PE RIOD
وتبدأ من الولادة وحتى عمر سنتين .

٢ ــ المرحلة الثانية : فترة ماقبل التفكير الاجرائي PREOPERATIONALPERIOD
وتبدأ من السنتين الى ـــعمر السبع سنوات .

٣ــالمرحلة الثالثة : مرحلة العمليات الحسية CONCRET OPERATIONAL PERIOD
من عمر السبع سنوات الى الحادية او الثانية عشرة من العمر .

٤ــالمرحلة الرابعة : مرحلة العمليات الرسمية FORMAL OPERATIONAL PERIOD وهي الاخيرة اذ تمتد من الحادية او الثانية عشرة وحتى الخامسة عشرة عاما من العمر .

يجتاز الاطفال هذه المراحل بالتتابع وفق الاعمار الزمنية المذكورة باستثناء الاطفال المعوقين ذهنياً الذين يظهرون تأخراً وابطاء في اجتيازهم لهذه المراحل ، فلا يمكن ان يعبر الطفل لمرحلة اعلى دون المرور بالفترة التي قبلها ، فالمرحلة الجديدة دائماً تظهر وتتشكل على اساس المرحلة السابقة وكما ذكر فان الابطاء او التوقف في اجتياز اية مرحلة يعد دليلاً على انخفاض المستوى الذهني او الذكاء الذي يرى بياجيه انه شكل من اشكال التكيف البايلوجي بين الفرد او البيئة اي انه (الذكاء) يتمثل بقابلية الطفل على التكيف للمواقف البيئية في الاعمار المختلفة وكدليل على ما تقدم فقد وجد (لوفل واخرون LOVELII etoal• 1962) ان الاطفال المعوقين بعمر ١٤ ــ ١٥ سنة ينجزون ما يستطيع اطفال السبع سنوات والنصف من انجازه فقط وخاصة في المفاهيم العددية Ceometrecal Concept

سيستعرض الباحث في أدناه طبيعة كل مرحلة لكلتا النظريتين لتسهيل مهمة دراستها :

١ ــ الفترة الأولى منذ ولادته ، يستطيع الطفل ان يقوم باعمال محدودة جداً كالرضاعة وطرح الفضلات وتتكون انشطته من حركات كلية MASS MOVEMENTS مع استجابات قليلة متخصصة ومتوافقة بحدود معقوله . كما انه يولد لديه تهيج عام يعبر عنه بالصراخ الذي يتعدل ويتحول من خلال البيئة ،وخلال نموه في هذه المرحلة فان سلوكه يتحول من استجابات حادة ومتطرفة الى انماط سلوكية معدلة، يكون قادراً من خلالها على تأجيل بعض طلباته لبضع ساعات ثم ايام . فالطفل بعمر ستة اشهريتمكن من التنسيق بين حركة عينيه ويديه،وفي الشهر التاسع يستطيع الوصول الى لعبة تخفي عن بصره اذا ما راقب عملية اخفائها . وفي عمر ١٨ شهراً فانه يقوم بمحاكاة سلوكية تعبيرية كتحريك العين أو تغيير تعابير الوجه ، وفي حوالي السنتين فانه يكون قادراً على تأجيل اداء الحركة التي يقلد بهـا غيره لبضعة ايام بعد ان شاهدها للمرة الاولى .

ويعزو بياجيه قدرة الطفل على محاكاة انماط سلوكية تمت ملاحظتها ام لا، يعـزوها الى زيادة الاتساق بين مختلف الاعضاء الحسية من جهة والى اكتساب وتكوين الصـور الذهنية لتلك الانماط.

يسحب الطفل في هذه المرحلة قطعة القماش التي وضعت اللعبة فوقها ليقربها لمتناول يده بعد ان ادرك العلاقة بين قطعة القماش واللعبة، وهذا ماأطلق عليه بياجيه(خطة الفعالية) « ACTION SCHEME » والتي عرفها (MUSSEN et.al1979) بانها استجابة عامة يستخدمها الطفل لمعالجة المشكلات المختلفة التي يمربها. كما يستطيع الطفل في نهاية هذه المرحلة البحث عن اللعبة التي اخفيت دون علمه أو ملاحظته لاخفائها . فهو في نهاية هذه الفترة يعرف ان اية مادة لها وجود دائم لاينتهي او يتلاشى بمجرد اختفائها عن نظره (PIAGET,1947) كما انه يستطيع تقليد نماذج مكعبات بسيطة لم ير طريقة تركيبها في حين انه لم يكن قادراً على ذلك في عمر ١٢ شهراً انما يستطيع تقليد مايرى طريقة تركيبه من نماذج بسيطة في هذا العمر . ويستطيع الطفل في هذه المرحلة معالجة بعض الاشياء يدوياً بطريقة المحاولة والخطأ ولهذا «هو لايستخدم اللغة ورموزها في ذلك ، كما يتعلم خلال هـــذه المرحلة كيفية تطوير فكرته عن «مفهوم السببية» CASUALTY CONCEPT والتي تعرف بأنها «مقدرة بسيطة نسبياً لتوقع سلسلة متتابعة من الاحداث تتبع سبباً محـــدداً او بأنها تحديد السبب الذي تنجم عنه نتيجة او اجراء محدد ، انه يكون قادراً على ادراك العلاقات ذات التسلسل المرتبط بنموه الزمني .

يعتقد بياجيه ان الطفل في هذه المرحلة يمر بثلاثة احداث مهمة هي : —

١ — تعلمه من خلال خبراته ان الاشياء لاتتوقف عن الظهور او لايمكن ان تختفي نهائياً عند غيابها عن بصره فيقوم بتكوين صورة ذهنية لهذه الاشياء .

٢ — اكتشافه بأن الاشياء الموجودة في البيئة اشياء دائمة حتى اذا ماكانت تلك الاشياء او (الافراد) تبدو في اشكال واوضاع مختلفة وهذا كما يرى بياجيه يعد دليلاً على سلوك ذكي يقوم به الطفل. فهو يتعرف على امه مثلاً اذا ماغيرت ثيابها او تسريحة شعرها او زينتها.

٣ — تعلمه الربط السببي بين الاحداث. اي ان نتيجة معينة لسلوك محدد ستكون سبباً لحدث جديد، فاستمراره في الصراخ سيجبر الوالدين على الاستجابة لحمله، ومسكه للمدفأة سيسبب له الماً حاداً فيتعلم تجنبها.

تكتسب هذه الاحداث الثلاثة اهميتها في نظر بياجيه من كونها تجعل الطفل قادراً على الابتعاد التدريجي عن التمركز حول الذات MOVE AWAY FROM EGO-CENTRIC

تقابل المرحلة الاولى في نظرية بياجيه مرحلة الطفولة المبكرة» في نظرية اركسن الذي يسمي السنة الاولى من الحياة «بالفترة الحرجة» في تنمية الثقة بالآخرين .

يؤكد اركسن على هذه المرحلة «EARLY INFANCY STAGE» والممتدة خلال السنتين الاوليين من الحياة تأكيده على المراحل الاخرى في نظريته ، لكنه يربط الفترة الزمنية لكل مرحلة بالفروق الفردية التي يعطيها الدور الرئيسي لتمديد طول أو قصر أية مرحلة من مراحل النمو (FONTANA, 1978) ويرى اركسن ان الطفل سيمتلك فهما او حساً للثقة (TRNST) اذا ما حصل على امومة جيدة، بينما يكون كثير الخوف والقلق وان عليه ان يحصل على ما يريد عن طريق الاعتداء على الآخرين او الصراع معهم عندما تكون امومته سيئة وغير مراعية لحاجاته بالشكل الصحيح، وقد اعطى اهمية للفروق الفردية اذ اعتمد عليها بشكل رئيسي في تحديد طول اوقصر الفترة التي يقضيها الطفل لاجتياز مرحلة معينة. ومن جهة اخرى فقد اكد اركسن على تأثير الفم في نمو الطفل النفسي الاجتماعي لكونه الوسيلة الاساسية التي تربطه بالحياة وشبهه بـ «حزمة ضوئية تحقق اول ارتباط عام بالحياة » AS THE FOCUS OF GENERAL FIRST APPROACH TO LIFE THE CORPORATIVE APPROACH وخبرات الطفل الاولى للوظائف التي يقوم بها لها دور آخر اضافة لمهمتها في حفظ الحياة واستمرارها ،فهي تساعد الطفل على تنسيق عملياته الذاتية في تخلصه من الفضلات مثلاً او القيام بالاعمال ذات الطابع اليومي المتكرر «CIRCULATORY RHYTHMS» كما ان احساس الطفل الاول«بالثقة» يساعده على النمو السيكولوجي وتقبله للخبرات الجديدة بمحض ارادته (ERIKSON).

٢ – مرحلة ما قبل التفكير الاجرائي : –

يعتبر بياجيه هذه المرحلة الجانب الاعدادي للمرحلة القادمة (مرحلة العمليات الحسية)، ويختلف اتباعه في النظر اليها كمرحلة مستقلة ام تابعة فـ(FLAVELL) يذهب للرأي نفسه بينما يراها (DONALDSON)جزءاً فرعياً من مرحلة طويلة اسماها مرحلة العمليات الحسية الطويلة. وتمتد هذه المرحلة من عمر سنتين الى سن السابعة او الثامنة من العمر وقد تعامل بعض العلماء النفسيين معها على انها مرحلة مستقلة حيث يرون معظم محتوياتها المعرفية سلبية اذا ما قورنت مع المراحل الاخرى، لذلك فان الجزء الاكبر من هذه المرحلة يحدد في ضوء غياب القابليات الواضحة الصريحة.

وقد اشار بياجيه الى هذه المرحلة من النمو الذهني كما لو انها مرحلة لعرض او تمثيل الذكاء، فالطفل يكتسب القدرة على اجراء عمليات لاكتشاف التشابه والاختلاف من خلال استخدامه اللغة والصور الذهنية ، لكنه مع نمو قدرته في استخدام اللغة والتفكير الرمزي سيظل يعاني من صعوبات في استيعاب وجهة نظر طفل او راشد آخر ، اذ يستخدم الكلمات الجاهزة التي ترد على ذهنه حول موضوع معين مباشرة ، واستخدام كهذا يكون بشكل ينقصه التنظيم والترتيب . كما ان استخدام الاسماء في هذه المرحلة هو الخطوة الاولى لاستخدام اللغة فهو يمكنه من التفريق والتعرف الغامض – الى حد ما – على الاشياء المادية الثابتة .

ان بداية الاستخدام الحقيقي للغة هي التي تحدد نهاية مرحلة الطفولة الاولى (INFANCY) للاطفال الاسوياء ، اما نهاية المرحلة الحسحركية فتكون باستخدام الطفل للصور والرموز واللغة في تفكيره . فالطفل عندما يميز أباه بصرياً ثم يسميه (بابا) يظل يتعرف عليه ويعرفه حيث يكون له من بعد فكرة واضحة حتى عند غيابه ، وهـو في هذه المرحلة لايستطيع ان يحصر انتباهه على كل من الكمية والحجم في تعامله مع جوانب اخرى للمادة نفسها فلو اعطيناه كـرة من الطين الاصطناعي ، ثـم قمنا بعد تفحصه لهـا بتحويلها لشـكل اسطواني فان الطفل يستنتج من ان الكرة والاسطوانة يحتويان كميات مختلفة من الطين الاصطناعي مع انهما في الحقيقة يحتويان على الكمية نفسها .

يظل النمو في بداية هذه المرحلة غير متكامل في الجانب المعرفي ، فهو يستمر بأفكاره ذات الطابع المتمركز حول ذاته « EGO CENTRIC » وهذا ماتدل عليه استجاباته المبنية في معظمها على اهتماماته الخاصة ، لكنه من جهة اخرى يصبح قادراً على استخدام الـرموز التي تؤهله للثبات في تصرفاته ويتدرج بـه النمـو ليكون قادراً عـلى تمثيل واسترجاع تلك التصرفات دونما حاجة لاعادتها وتنفيذها عملياً . وهـو يرى الاشياء من زاويته الخاصة فقط ويصفها اعتماداً على ادراكه لها ، فعندما يسلط انتباهه عـلى بعض مكونات موقف معين فأنة سيتجاهل العوامل او المكونات الاخرى لذلك الموقف مـع انها تمتلك ذات الاهمية في ذلك الموقف . فاذا ماعرضنا قدحين متشابهين تماماً ومملوئين بكمية متساوية من الماء ، ثم سكبنا احدهما في قدح طويل وضيق فان الطفل سيقول بان الماء في القدح الاخير اكثـر منه في القدح الآخر وذلك لكون مستوى الماء قـد ارتفع فيه اكثـر بسبب ضيقه . يـرى

بياجيه ان الطفل لايستطيع فهم ماتعنيه «الكمية» ، لذلك فهو غير قادر على فهم ان كمية الماء بقيت كما هي على الرغم من تغيير شكل القدح .

والطفل في هذه المرحلة ايضاً لايستطيع الرجوع في الاتجاه المعاكس لنقطة معينة فهو يضيف أربعة الى ثلاثة لتكون سبعة لكنه لايجد الأمر سهلاً للحصول على الاربعة من طرح ثلاثة من السبعة اذا ماطلبنا منه ذلك بعد فترة وفي موقف منفصل عن الموقف السابق. ويمكن عكس العمليات العقلية عندما يتمكن الفرد ذهنياً من الرجوع بتفكيره الى الخلف للعودة الى النقطة الاصلية التي ابتدأ منها اولاً . ومن جهة اخرى فان الطفل في هذه المرحلة يعتقد ان كل مادة لها شعور واحساس ، فالباخرة تشعر بثقل حمولتها والمدفأة تعاني من حرارة اللهب المشتعل بداخلها . لكن هذا الاعتقاد يتطور تدريجياً ليشمل الاشياء المتحركة فقط فتظل الباخرة والسيارة تشعران وتدركان اتجاه رحلتهما ، اما الصخور والحيطان فهي لاتشعر او تحس بما حولها . اما في عمر المرحلة القادمة ٨ — ٩ سنوات فهو يكتشف ان الاشياء التي تشعر هي الاشياء التي تتحرك بذاتها حيث تنحسر صفة الشعور عن السيارة والحيطان .

طلب بياجيه من بعض الاطفال ان يتعرفوا على الطفل المقصر ، هل هو الفتاة التي كانت تساعد امها في المطبخ فكسرت عشرة اطباق ام الطفلة التي كسرت طبقاً واحداً عندما ارادت الوصول الى علبة الحلوى التي وضعتها امها فوق الرف . اجاب الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ٥ — ٧ سنوات روتينياً بأن الطفلة الاولى اكثر تقصيراً اما الاطفال الذين تجاوزت اعمارهم هذه المرحلة فقد اجابوا بعد مناقشة بينهم توصلوا من خلالها الى ان الطفلة الثانية اكثر تقصيراً لكون هدفها اقل خلاصاً من هدف الطفلة الاولى.

ان عالم الطفل في هذه المرحلة تبعاً لرأي بياجيه هو عالم اكثر استقراراً ويتسع لكثير من المواد والاجسام الثابتة التي بدأ بادراكها خلال المرحلة السابقة . كما ان فكرة الماضي والمستقبل وكذلك الحاضر تصبح من الامور التي بامكانه التعامل معها . اما العلاقات التي تنشأ بين المواد والاحداث فهو يعتقد بانها غير مستقرة .

في نظرية اركسن هناك مرحلتان تقعان في الحدود العمرية لمرحلة ماقبل التفكير الاجرائي هما المرحلتان الثالثة والرابعة اللتان تتضمنان الفترة الاخيرة من الطفولة المبكرة جداً (INFANCY) ومرحلة الطفولة المبكرة .يصل الطفل لنهاية فترة الرضاعة وهو في سنوات الحضانة (٣سنوات) ثم في عمر رياض الاطفال التي تقابلها فترة (Infant School) اذ يتطور

بنموه البايولوجي كي يكون مستقلاً عن الاخرين لكنه في بعض الاوقات يشد نفسه لامه بينما يبتعد عنها في احيان أخرى ويبدأ بالتدريب على السيطرة عل مثانته والتخلص من فضلاته ويتدرج في طريق الاستقلال التام كنتيجة لصراعات الارادة الناجمة بينه ووالديه والهادفة لضبط وضعه الجسمي والسيطرة على طرح فضلاته . يعتقد اركسن ان هذه الفترة تبدو وكأنها تقدم احساساً بالانفصال والكآبة الشاملة حول ما يسميه اركسن «بالجنة المفقودة» وعندما يشعر الطفل بمعارضه مع الكبار الذين يظنون ان التحكم الذاتي يختلف بمفهومه عما يكّون عليه الطفل فانه يشعر بنقص في الضبط الذاتي SELF CONTROL ويشعر بالشك والارتباك والخجل والحياء من رغبته في استقلالية اكبر ويشير اركسن الى عدم وجود قيم موحدة تسود المجتمع فقيم اي سلوك ايجابية كانت ام سلبية تختلف من ثقافة وحضارة لاخرى وكذلك من عائلة لاخرى (ERIKS ON, op. cit) .

المرحلة الثالثة من مراحل نظرية اركسن تضم سنوات ماقبل المدرسة الابتدائية ويمكن ان يصلها الطفل وهو في مرحلة INFANT SEHOOL «البريطانية»حيث النمو السريع والمهارات اللغوية النامية يسمحان له بالاتصال بالاخرين والاشياء (بشكل اكثر اتساعاً واشمل مما كان عليه) التي تحيط به ، كما ان سلوكه الاخلاقي ينمو بالاعتماد على اللغة التي يستخدمها مع الكبار لشرح وتفسير الجوانب الاخلاقية اضافة لذلك فانه يتأثر بسلوك الناس الكبار من حوله) ويحتل الاب مكاناً ذا اهمية تؤثر في حياة الطفل ويبدأ بتنمية افكاره حول الصواب والخطأ والملأمة كما انه يميل لاستخدام واختيار لغته النامية حديثاً وقدراته العقلية وخلال هذه المرحلة ايضاً يكون قادراً على طرح اسئلة تدل على فهمه لكثير من الاحداث الغامضة قديمها وحديثها وهو يعدل ويصفي نشاطاته ومهاراته العضلية والذهنية ويبدأ بملاحظة الفروق الجنسية بين الافراد في محيطه مما يهيءله مضامين تتعلق بمشاعر شخصيته ومستلزمات اجتماعية لحياته في مجتمعه ، ويبدوا جلياً ان ذاته في تكونها تتأثر بكل من ملاحظاته وتعديل انشطته ومهارته . كما يمتلك الطفل طاقة كبيرة تساعده على نسيان فشله بسرعة ، وهذا مايؤهله لبداية جديدة ثانية مع غايات افضل وأكثر تأثيراً ((FONTANA, op. cit)

ونمو المبادرة لدى الطفل له مضامين ترتبط بنوع التربية التي ينبغي للكبار ان يهيؤها ، للاطفال في هذه المرحلة ، لذلك ينبغي ان تتهيأ للطفل انواع من التعليم تمكنه على ان يكون شجاعاً ، مبادراً ، لايتردد .

٣ – المرحلة الثالثة :–

تمتد هذه المرحلة من ٧ – ١٢ سنة ،وقد وصفها بياجيه بانها مرحلة المنطق LOGIC PERIOD كما قسمها البعض منهم الى قسمين« العمليات الحسية» و« العمليات الرسمية» لكن الاخيرة اعتبرت مرحلة منفصلة من قبل كثير من اتباع بياجيه في حين عدها البعض كمرحلة فرعية تأتي بعد مرحلتين فرعيتين أخريين هما مرحلة ماقبل التفكير الاجرائي ومرحلة التفكير الاجرائي .

ينمي الطفل في هذه المرحلة سلسلة جديدة من العادات اطلق عليها اسم « التجميع » GROUPING اذ تنفرد بخصائص منطقية خاصة بها . كما يتمكن الطفل ايضاً من تتبع الحقائق المنطقية التالية ادناه عند فهمه لعادات او قوانين الاشياء .

١ – لايحتاج الطفل ان يستخدم مرة ثانية العمليات التي سبق ان استخدمها لايجاد ما اذا كان احمد يمتلك عشرة دراهم ام لا ، اذا كان الطفل يعرف مسبقاً ان كلا من أحمد ومحمد يمتلكان كمية متساوية من النقود ، وان المبلغ الذي يمتلكه محمد مساو لما عند علي والذي يعرفه الطفل اصلا وهو عشرة دراهم .

٢ – لايحتاج الطفل الى قياس وزن الحجر «أ» لايجاد مااذا كان اثقل من الحجر «س» ام لا اذا كان ذلك الطفل يعرف مسبقا ان الحجر «أ» اثقل من الحجر «ب» ، والاخير اثقل من الحجر «ج» ، والحجر «ج» اثقل من الحجر «س» . فالطفل في هذه المرحلة يعرف صدق استنتاج كهذا حتى عند عدم تهيوء الفرصة لمشاهدة الاحجار أ، ب ، ج ،

(MUSSEN. et. al 1979)

٣ – يستطيع الطفل تصنيف الاشياء تبعا لعلاقتها فيما بينها ، اذ يضع البرتقال والتفاح والعرموط تحت صنف واحد هو « الفاكهة » ، ويضع كل الفواكه تحت صنف « الطعام» كما انه يستطيع عكس العملية باعادة اصناف الفاكهة كل الى خانتها مثلا ثم تكوينها مرة اخرى لكونه اصبح قادرا على ادراك ان الطعام يتكون من الفاكهه ومواد اخرى لايطلق عليها اسم « الفاكهة » .

٤ – من الممكن ان يقتنع الطفل بأن مادة معينة تنتمي الى اكثر من صنف واحد او اننا نستطيع تكوين اكثر من علاقة معها في وقت واحد . فاذا طلب من الطفل اجراء تصنيف « للطيور » « والحشرات » من جهة ثم « الكائنات التي تطير » « والكائنات غير

القادرة على الطيران » من جهة اخرى سيضع الطفل « النعامة » ضمن مجموعة « الطيور » وضمن مجموعة الكائنات « غير القادرة على الطيران » في وقت واحد .

يقول بياجيه بأن عمل الاطفال للتنظيم قبل بلوغهم السابعة من العمر ، فهم يقارنون ازواجا من الاشياء ثم يصححون نتائج مقارناتهم . ولكنهم في مرحلة العمليات الحسية بامكانهم اختيار اكبر علبة ضمن مجموعة من العلب في المرة الاولى ، ثم يختارون العلبة الاكبر من المتبقيات في المرة الثانية وهكذا اذ يتسم عملهم بالانتظام ، كذلك فان الترتيب والمزج والتصنيف نصبح احدى السمات المميزة للنمو العقلي لاطفال هذه المرحلة ، كما انهم يضعون الاشياء وفق ترتيب معين حسب علاماتها وأطوالها ، واوزانها ، ويستطيع الطفل ذو الثماني سنوات من العمر ترتيب ثماني عصي تبعا لاختلاف اطوالها كما ان ادراك الصفات المشتركة التي تربط بين خمس قطط وخمس كرات (خمسة) . لكنه يفهم ايضا ان القطط والكرات الخمسة مختلفة بانواعها والوانها .

ومن بين مايميز الطفل في هذه المرحلة انه يتعرف على ان العديد من المصطلحات النسبية مثل « الاصغر » ، « الاضعف » ، الالمع » تشير الى علاقات بين احداث معنوية وليست الى خصائص مادية ملموسة على الرغم من كونه لايزال يربط بعفوية بين الجزء والكل .

لو عرضت ثمانية اقلام خضراء وخمسة اقلام حمراء على اطفال وسئلوا ما اذا كانت الاقلام الخضراء اكثر ام الاقلام فان اطفال الثمانية اعوام سيجيبون « توجد اقلام كثيرة » بينما لايستطيع الاطفال بعمر خمس سنوات اعطاء الجواب المناسب اذ يقولون « يوجد الكثير من الاقلام الخضراء » .

ومما يراه بياجيه لهذه المرحلة ان الطفل الصغير لايستطيع تحليل العلاقات بين الجزء والكل بعفوية ، كما ان قدرة الطفل على التفكير تمكنه من المبادرة والسيطرة على محيطه ، ومن البديهي هنا القول بأن تلك المبادرة والسيطرة تختلف نسبيا عما هي عليه عند الكبار ، وهنا ينبغي الاشارة الى اعتقاد بياجيه الذي يتضمن كون الطفل يتشابه مع الكبار في شعورهم لكنه يختلف عنهم في تفكيره ، وهذا على العكس تماما مما ذهبت اليه مدرسة التحليل النفسي التي ترى ان الطفل والكبير متشابهان في تفكيرهما ومختلفان في شعورهما فيما يتعلق بتصورات وتخيلات كل منهما (ELKIND ,1969) .

من جهة اخرى فان تفكير الطفل لايزال محدودا ، اذ يميل الى وصف محيطه اكثر من ميله الى فهم وتوضيح مايدور فيه ، وهذا يبين السبب الذي يكمن خلف كون الاطفال

يجدون الامر في ذكر امثلة من الاشياء ايسر لهم من ذكر ادلة وبراهين محددة عن تلك الاشياء ويتجلى عند الطفل في عمر السبع سنوات ادراكه لعملية الطرح ، اما ادراكه لمفهوم الوزن فهو يتأخر لما بعد سن الثامنة من العمر ، وفي سن الثانية عشرة من العمر فانه يكون قادرا على ادراك مفهوم الاحجام .

هناك تغيرات في النمو العقلي خلال هذه المراحل الثلاث ، يبدو اولها في ادراك الطفل اذ يحدث خلال العمليات العقلية في المرحلتين الثانية والثالثة . اما التغير الثاني فهو الذي يتم بموجبه نقل سيطرة الفعاليات الذهنية الى مايسمى بالذكاء العملي الناضج (MATURE OPERATIONAL INTELLIGENCE) وقد حددت نظرية بياجيه ثلاثة فروق في الذكاء بين المرحلتين الاولى والثالثة من النظرية عند مقارنتها هي : —

١ — ان ذكاء المرحلة الاول الحسحركية اكثر استقرارا واقل حركة لكونه يعتبر ان الاشياء تصطف واحدا خلف الاخر بدون اي ترتيب لنظرة عامة او اكتشاف خصائص شاملة لتلك الاشياء في حين ان ذكاء المرحلة الثالثة افضل كثيرا في تعامله مع التحولات والروابط الحاصلة بين الاماكن والمواقف وكيفية ارتباط كل منهما بالاخر .

٢ — يهدف ذكاء المرحلة الاولى تحقيق نجاحات عملية بينما يهتم ذكاء المرحلة الثالثة بالايضاحات والشرح والفهم .

٣ — لذكاء المرحلة الاولى سلسلة مكانية وزمانية ضيقة لكونه محدداً بالتصرفات الواقعية المنجزة لاشياء ملموسة ، بينما يكون ذكاء المرحلة الثالثة اوسع افقا واكثر حرية حركية .

هذه المرحلة تقابل المرحلة الرابعة من نظرية اركسن والتي اطلق عليها اسم « مرحلة العمر المدرسي» (ERIKSON, 1959) اذ يرى ان الطفل بحاجة لأن يجد مكانا ضمن الاطفال الاخرين في مجموعته العمرية لكنه عاجز عن احتلال مكان مساو لذلك في المجتمع الذي يحتل الكبار امكنته ، وهذا مايعتبره اركسن وكأنه الوجه القطبي الذي يتجلى عند تعارض المفهوم الصناعي للمجتمع ومشاعر النقص عند الطفل . واحساس الكبار بان الطفل مازال كائناً غير مكتمل يؤثر عليه من خلال تأثير مشاعر النقص الناجمة عن عدم كفاية الحلول للصراعات المتقدمة ، والطفل عندما يقارن نفسه مع والده فانه سيعاني من احساس بالذنب وشعور بالنقص يتولد نتيجة هذه المقارنة ، لذلك فانه يحاول علاج مشاعر الذنب والنقص باستثمار كل الفرص ليتعلم من خلال تصرفاته وتجاربه ومن خلال مهاراته الاولية

INTIATIVE SKILLS للانماط الحضارية التي يتطلبها مجتمعه . ويتمتع الطفل بحرية لعمل الاشياء بشكل جيد فهو يستخدم بعض مواقف الحياة الواقعية في ممارسة لعبه وفعالياته . كما يميل الاولاد والبنات للانفصال بعضهم عن بعض في لعبهم وعاداتهم ، ومع ذلك فانه يلاحظ اشتراك احد افراد الجنس الاخر في اللعب مع الجنس المغاير في بعض الاحيان .

لقد اعطى اركسن اهمية لمراحل نظريته الثلاث الاولى فهو يقول بأن اجتياز الطفل لهذه المراحل الثلاث بنجاح سيؤهله لاداء اعمال صعبة نسبياً ويعزز ثقته بنفسه ليكون نشطا مثابرا وفعالا«"TO BE INDUSTRIOUS"»لكن فشله في ذلك يشعره بالنقص والاحباط والتردد .

ان نهاية هذه المرحلة ستكون على عتبة الدخول لفترة المراهقة والبلوغ حيث يفقد اللعب اهميته ، ويبدأ الفرد بالتخلي التدريجي عن عاداته الطفولية. ولدى مقارنة الافراد فيما بينهم فاننا سنجد الكثير من الاختلافات الواسعة بينهم في هيئاتهم وقدراتهم، اضافة الى ذلك فهناك استجابات واسعة الاختلاف لدى الفرد نفسه تبعا لمواقف حياته وخصائصه الذاتية. ويبدأ الفرد في هذه المرحلة بالتفكير في ما اصبح يدركه على انه قيود عائلية حيث يشعر بضرورة كسر الطوق والخروج من دائرة حياته العائلية المعتادة. كما انه يعطي ابويه وآباء اصدقائه قيما وأهمية جديدة اذ يصبحون الى جانب غيرهم من معلمي المدرسة والجيران ذوي دلالات اجتماعية تترك اثرها الواضح في تحديد شخصيته ، ويحتل اقرانه اهمية كبيرة لكونه يحتاج نجاحهم او فشلهم للتعرف من خلاله على قدراته الذاتية (SELF–ESTEEM). فلقد وجد (COOPERSMIH) انالطفل الذي يدرك انه غير قادر على اداء عمل معين وتقبل حالته هذه مسبقاً، ثم طلب منه اداء ذلك العمل نفسه فان هذا سيؤدي للجهر بالعدوانية او التظاهر بأن هذا العمل لايستحق ان يعمل لذلك فانه سيبرر فشله عن الوصول الى المستوى المدرسي المطلوب بسبب خطأ المعايير المستخدمة وليس بسبب عدم كفائته الذاتية وهنا تبدو معاناة الفرد مما اطلق عليه « الذات المتدنية» (LOW SELF–ESTEEM).

٤ ــ المرحلة الرابعة : مرحلة العمليات الشكلية :

تدخل بعض فترة المراهقة ضمن هذه المرحلة من مراحل النمو الذهني والتي تبدأ من سن الثانية عشرة من العمر لذلك سيكون الحديث هنا عن المراهق، فهو اذ يبدأ بالتفكير فيما وراء الاحداث الواقعية والصيغ النظرية كأن يضع فرضيات معينة ثم يبدأ تدريجيا بتطوير جوانب يصل من خلالها لاستنتاجات قد تكون بعيدة عن فرضياته وتحليلاته الأولى.

ويتعامل المراهق في هذه المرحلة مع العبارات والبديهيات والاحداث وصولا الى حل المشكلة التي تواجهه . كما ان مايصل اليه من استنتاجات قد يكون نتيجة تصنيفاته ، او استخدامه لتسلسل الاحداث او العمليات الاخرى التي يحتمل ان يكون قد طورها خلال المرحلة السابقة ، حيث كان يتوقف عن التقصي عند عثوره على الوسيلة النافعة او معرفته للطريقة التي يمكن ان تعالج وضعاً معيناً في حين انه يستمر في هذه المرحلة بعد وصوله للحل المطلوب ، اذ يستمر في تقصيه وتتبعه لاكتشاف ومعرفة النظام الكلي الذي كان يبحث في جزئياته ، فهو قادر على اكتشاف الاسباب وتعليل الاحداث وربط ، الافكار وصولا الى أستنتاج معين .

لقد قارن (ميوسن وجماعته) (NUSSEN ET.AL·1979). بين المراهق في هذه المرحلة. والطفل في المرحلة السابقة فأشاروا الى ان طفل المرحلة الثالثة يميل الى التعامل بشكل واسع مع الحاضر (الان وهنا) لكن المراهق يصبح مهتماً بالامور الفرضية والمستقبلية القريبة منها والبعيدة .

وحيث يعتقد بياجيه بأن هذه المرحلة تمثل الجانب المتقدم في تدعيم الذكاء والسلوك الذكي فان الاطفال المعاقين في نموهم يصبحون غير قادرين على الوصول الى هذه المرحلة اما الذين يصلونها متأخرين عن أقرانهم بالعمر الزمني فلابد ان يكونوا قد عانوا من بعض الانحراف او الاعاقة الذهنية بشكل او بآخر (WYNE and O CONNOR,1977) .

كما ان بامكان المراهق في هذه المرحلة وضع صيغ نظرية لمعالجة مشكلاته مع الاحتفاظ بالكثير من المتغيرات في ذهنه بشكل عفوي بسيط ، لكنه من جانب اخر لايزال يختلف في تفكيره ن تفكير الراشدين على الرغم من تشابههم النوعي (MUSSEN,1970)وقبل وصول المراهقين الى حياة الراشدين العقلانية فانهم غالباً مايذهبون بافكارهم لاراء ، ووجهات نظر يبغون منها تغيير العالم وفق مايعتقدونه صحيحاً(FONT ANA, op. cit). والشخص في هذ ه المرحلة يكون قادراً على التعامل في تفكيره مع الامور الاحتمالية اذ ان بامكانه التعليل المنطقي لمواقف حقيقية او غير حقيقية تعرض لها خلال المرحلة السابقة، وهو ايضاً قادر على التعليل العلمي ووضع الصيغ المنطقية . وبامكانه ايضاً تتبع اسلوب الجدل والمحاججة حتى في القضايا التي لايقيم اعتباراً لمحتواها الاصلي . (MUSSEN et- al op. cit) . كما يقوم بتنظيم العمليات وترتيبها وفق طرق رفيعة المستوى من خلال تجريد بعض القوانين التي تعالج نوعاً من المشكلات ، وهنا يلاحظ اختلافه عن

طفل المرحلة السابقة الذي يعالج مشكلاته باستخدام المحاولة والخطأ . وبأمكانه أيضاً (المراهق) ادماج بعض العمليات المعقدة والمنفصلة وصولا الى صيغة جديدة من البناء ، المتكامل مع بعضه لمعالجة مشكلة جديدة .

ومما يميز هذه المرحلة عن غيرها من المراحل ان المراهق يبدأ بأستخدام طـريقة التعليل من خلال الاستنتاجات الافتراضية والتي تعرف بانها أي نمط من التعليل الذي يأخذنا خارج حدود خبراتنا اليومية ، ويتعامل مع اشياء ليست لدينا خبرات مباشرة عنها (Modgil, 1974) .

وتصبح اللغة اكثر اهمية هنا لاحتلالها المركز الرئيسي في الاستنتاج والتعليل فهي ، وسيلة مهمة بسبب ماتحتله من دور في التعليل المنطقي الذي يعتبر اهم صفة تميز هذه المرحلة حيث يتمكن الفرد من صياغة الافكار والبديهيات ومعالجةمايتعرض اليه من مشاكل.

وتعد هذه المرحلة في نظرية بياجيه المرحلة الاخيرة اذ تقابلها المرحلة الخامسة فينظرية علم النفس/ اجتماعي (Psychosociology) . فالمراهق حسب وجهة نظر اريكسن هو الذي يبني لنفسه تدريجياً صورة « الشخص الجديد» حيث تتشكل كينونته ، وتتشكل الشخصية في نهاية مرحلة المراهقة فمن يحدد شخصيته بنجاح سيكون الفرد الاكثر ثقة وواقعية في حياته (ERIKSON, 1950) اما من يفشل في انجاز مهمة «اكتشاف ذاته SELF-DISCOVERY» فأنه سيعاني من تعارض القوانين ROLE CONFUSION التي تحيط به مما يؤدي بالتالي الى اخفاقه في تكوين فكرة واضحة عن نفسه . وربما ان الشعور بالثقة مهم جداً في مرحلة الطفولة المبكرة لانجاز مهمات نجاحه واجتيازه لخبرات الطفولة فان بناء كينونته «IDENTITY» تعد مسألة جوهرية في هذه المرحلة ومايترتب عليها من اتخاذ القرارات المهمة في حياته كاختيار المهنة وشريكة الحياة . وبما ان النمو الجسمي والجنسي يصل الى مرحلة النضج في هذه المرحلة فان المراهق سيجد نفسه مهيأ للانتقال من حياة الطفولة الى مرحلة الرشد حيث سيواجه مشكلات عديدة تختلف الى حد ماعن تلك المشكلات التي سبق ان مر بها والتي افادته في تكوين خبرات سابقة عنها . فثقته السابقة بقدراته البدنية والذهنية تتغير وتضعف ، وهنا تبرز حاجته لمراجعة جديدة لخبراته السابقة حيث يتقدم تدريجياً من خلال تلك المراجعة لتقييم ذاته في ضوء مرحلته الجديدة والتطور الذي وصل اليه ويتوقع الكبار منه كما يتوقع هو من نفسه الكفاح المستمر لانجاز ماتتطلبه الحياة الاجتماعية كي يكون مؤهلا لحياه الرشد على الرغم من ان حياته

ومشكلاته الجديدة تختلف كثيراً عن مشكلات مرحلة الطفولة .وقد اثبت علماء النفس والاجتماع ان مشكلات هذه المرحلة ناتجه في معظمها من الحضارة والتيارات الثقافية المصطنعة اكثر من كونها ناتجة بسبب من التغيرات البايلوجية للكائن (FONTANA, 1978) .

«ان احساس الشباب بالوحدة والاغتراب هذه الايام هو المسبب الرئيسي لانصرافهم الى تعاطي المخدرات او انهيارهم النفسي الذي يكون اضافة لتعاطي المخدرات سبباً مباشراً في تباعدهم او على الاقل في تخلف بناء علاقاتهم الوجدانية» Erikson. op. cit p. 66 وتحتل مجموعة الاقران في هذه المرحلة اهمية كبيرة ليست فقط من كون ان المراهق يحتاج للتعرف على قدراته الذاتية من خلال مقارنة وضعه الذاتي بأقرانه كما في المرحلة السابقة في نظرية اركسن انما تكتسب اهميتها من كون المراهق ينتفع منها في استعارته لقوتها عند ضعف اناه العليا ، وهذا مايفسر نزوع بعضهم للالتحام بمجموعة معينة على الرغم من التباين الملحوظ بينه وبين تلك المجموعة في القدرات او الخصائص الاخرى .

كما يظل المراهق في محاولاته لتأكيد ذاته من خلال محاولاته في الانتماء الايديولوجي الذي يرى انه سيجعله جيداً اخلاقياً ومتوافقاً مع مجتمع الكبار ،لكن نزعات بعض المراهقين وانحرافهم الفكري قد يفسر ايضاً بأنه تأكيد لذات هؤلاء المراهقين الاان ذلك يتبع حالات الفشل والاخفاق التي عانوا منها خلال المراحل النفسية / الاجتماعية التي مروا بها ابشكل اوبأخر (RIKSCN, CP CIT) .

كما يرى اركسن ان التزام المراهق بايديولوجية ايجابية متوائمة مع حركة مجتمعة تعد نافعة لكونها تتولى حراسة كينونته (GARDIAN OF IDENTITY) IBID.

لذلك يمكن الاستنتاج بان النجاح في اجتياز هذه المرحلة يمكن الفرد من بناء هويته المهنية وتحقيق التوازن بين ذاته واقرانه. اما الفشل في اجتياز هذه المرحلة فانه سيؤدي الى عجز المراهق عن تنمية هوية ايجابية وجنسية مقبولة اجتماعياً اذ يكون الفرد عند فشله في اجتيازها عرضة للوقوع في الجنوح .

بعد ان اكتمل ذكر مراحل نظرية بياجيه الاربع وما يقابلها من مراحل في نظرية اركسن فان الباحث سيقدم في مايلي ماتبقى من مراحل لنظرية النمو النفسي – اجتماعي PSYCRISOCIAL THEORY .

٥ ـ مرحلة الشباب :

تعد هذه المرحلة ،المرحلة الخامسة في نظرية اركسن اذ يرى ان الفرد يستطيع ان ينمي شخصيته من خلال مايتاح له من فرص مشاركة للاخرين. والاجتياز السليم لهذه المرحلة يمكنه من بناء علاقات ايجابية مع الاخرين من كلا الجنسين. وقد اسمى اركسن قابلية الفرد في اقامة علاقات مع الاخرين (INTIMACY)التي تعرف بانها «القدرة على اقامة روابط وعلاقات وجدانية لصيقة مع اخرين من كلا الجنسين وتتضمن الجوانب العاطفية والعلاقات الاخرى كالزواج والصداقة». ويرى اركسن ان علاقة طالب – معلم تدخل ضمن مفهوم «المودة او الالفة» INTIMACY .

اما الفشل في اجتياز هذه المرحلة فإنه يؤدي الى معاناة من خوف فقدان كينونته وميل لان يكون انانيا وغير سوي (SELF ABSORB) كما انه يعاني من التمييز في صداقاته«كأن يكون معجبا بكل واحد ولايحب اي واحد» .

٦ ـ مرحلة الرجولة

وهي المرحلة السادسة ويسميها اركسن ايضاً بالمرحلة المشيجية(GENERATIVITY) لكون الفرد يميل فيها للارتباط بعلاقات زوجية وعائلية، اذ ان اهم حوادث هذه المرحلة هو الزواج والابوة او الامومة كما تنجز خلالها كثير من الاعمال الابداعية من خلال اهتمام الكبار بالبنوة الشخصية بسبب التأثيرات الاجتماعية. وعادة ماينشغل الافراد في هذه المرحلة بمهمة تربية وتوجيه النسل. ويعلق اركسن حول مسألة اعتماد الاطفال على الكبار اذ يرى ان هذا الاعتماد هو السبب المباشر الذي يجعلنا نبتعد عن ادراك حقيقة ان الجيل الاقدم يعتمد على الجيل الجديد ايضا حيث يشعر الرجل الكامل « بالحاجة الى ان يحتاجه الاخرين» (ERIKSON, 1950, 258) .

٧ ـ اما المرحلة الاخيرة فهي مرحلة الشيخوخة او ما يسميها اركسن احياناً بالرجولة المتأخرة

اذ يتطور نمط الكمال INTEGRITY في خط الثقافة السائدة ووجوهها التأريخية لكي تصبح ارثا روحيا للشخص «PATEIMONY OF HIS SOUL» .

ان معالجة المواقف المتضادة لانماط الحياة المختلفة ومعالجة مايسميه اركسن «الخوف من الموت» «DEATH FEAR»كنهاية غير مرضية لمالم يتم انجازه من مشاريع واهداف

حياته هما الشرط المطلوب للكمال. والوصول الى الكمال هذا يراه اركسن بانه الامر الرئيس الذي يقضي على مايسببه الخوف من الموت من الام. ويقول اركسن في هذا المجال :

ان العلاقة بين كمال الكبار والصدق الطفولي يدرك
بالقول بأن الطفل السليم سوف لا يخاف الحياة اذا
ماكان لاهله كمال كاف يبعدهم عن الخوف من الموت .

ويرى اركسن ان الشخص كثير الشك هو الذي يشعر بانه لايوجد وقت كاف لمحاولة تطوير حياة اخرى او لاكتشاف طرائق جديدة للكمال الذي فشل في الوصول اليه. كما يمكن القول هنا ان هذه المرحلة تتضمن شعورا بالحكمة والاتجاهات الفلسفية التي غالبا ما تمتد الى ما بعد دورة حياة الفرد الاعتيادية اذ يتم تطويرها من قبل الاجيال القادمة .

الملاحظات

١ — Psychohistory ميدان حديث في علم النفس لدراسة الاحداث والشعوب بدأ لاول مرة عند فرويد في دراسته للفنان الايطالي ليوناردو دافنشي « LEONARDO «DAVINCI»وقد ظهرت خلافات حول الاهتمام بهذا الميدان حتى الان كما ظهرت جوانب اخرى شملت تاريخ المفاهيم النفسية كالعقل والجنون واللاشعور، وتاريخ الطفولة كما اشتمل على المحاولات التي تبذل لتفسير الاسباب والاحداث المؤدية لتغيير الاتجاهات خلال مرحلة زمنية معينة .

المصادر

Elkind, D. (1969)
Children and Adolescents
ترجمة الدكتور صبحي عبد اللطيف المعروف البصرة – مطبعة حداد

Erikson, E. (1959)
Identity and Life Cycle
New York: International University Press

Fontana, D. (1978) .
Personality and Education
London; Openbook Publishing

Hebb, D.O.A. (1949) . ..
The Organization of Behavior
New york : wiley

Lov ell, k. et- al. (1962)
Growth of some geometrical concept. *Children* Development ,33, 4, 751- 767 .

Modgil, s. (1974)
Piagetian Research: A Handbook of Recent of Studies
Windsor: NEER .

Mussen, P.H., et- al. (1979)
Children Development and Personality
New york: Harper and Row

Mussen, S. (1970)
Manual of Child Psychology
New york: John wiley and Sons .

Piaget , J. (1947)
The Psychology of Intelligence
London: Rontled and Kegan Paul

Vernon, p.E. (1979)
Intelligence : Heredity and Environment
San Francisco: Freeman and Company

Wyne and Oconnor (1977) . .
The Exceptional Children
New York: Wiley